

3

قصص المبشرون بالجنة

رجل تسبحي
منه الملائكة

سلوى العناني



رجل تستحي منه الملائكة

(عثمانُ بنُ عفان)

لا شك أن عيني (أبي بكر) كانت تغرورقان بالدمع لحظة وضع يده في يمين رسول الله معلنا إسلامه وإيمانه .. ولا بد أن قلبه كان ينتفض بين ضلوعه لحظة عانقه النبي ودعا له ..

ولا بد أن عقل أبي بكر كان يعمل في سرعة فائقة ساعة غادر بيت النبي بعد أن شهد (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فقد كان يعرف أن مهمته لم تنته عند هذا .. لكنها بدأت .

نعم .. إن مسئولية كبيرة وقعت الآن على عاتق (أبي بكر) فقد أصبح شريكا في مهمة نشر الدعوة .

لا بد أن أبا بكر انفرد بنفسه ساعة أو بعض ساعة يستعرض أسماء هذه المجموعة من أصدقائه .. كان هؤلاء الأصدقاء من الأشراف والأثرياء والوجهاء وصفوة المجتمع

القرشي .. ولم يتردد (أبو بكر) كثيراً واتجه إليهم ..
وكان كلما جلس إلى أحدهم وحدثه عن محمد رأى منه
قبولاً وموافقة .. فهم جميعاً يعرفون من هو (محمد بن عبد
الله ابن عبد المطلب) يعرفون أمانته وصدقه ونقاؤه وطهره .
وإلى بيت النبي توجه هؤلاء واحداً بعد الآخر ... فمن
هم هؤلاء الصفوة ؟ .

إنهم (عبد الرحمن بن عوف) و (طلحة بن عبيد الله)
و(عثمان بن عفان) و (الزبير بن العوام) و (أبو عبيدة بن
الجراح) .. ويسجل التاريخ هذه الأسماء الخمسة كأول من
أسلم من الرجال بعد أبي بكر بن قحافة (الصديق) .

تقدم عثمان بن عفان من النبي ونطق بين يديه بالشهادة
وعامله على المؤازرة والتأييد .

لكن كيف يُقدم رجل مثل (عثمان) على هذا وهو
التاجر الثرى الواسع الثراء الذى اعتادَ رَغَدَ العيشِ ولين
الفراشِ وجيّدَ الطعامِ .. كيف يقدم على أمر يعلم أنه يؤثّر
على تجارته وثروته ، كما يعلم كيف سيكون صداه بين

أشرافِ قريشٍ وزعمائها ؟ ..

لقد آمن الرجلُ ..

نعم .. آمن عثمان بأن ما جاء به (محمد) هو الحقُّ والخيرُ
واقتنع بأن ما يؤمن به أهلُ في قريش وغيرها إنما هو
الباطلُ والزيفُ .. لقد ملأ النورُ قلبه وأضاء له طريقَ
الحقِّ ..

فهل تصمتُ قريشٌ على ما فعل (عثمان) ؟ هل تركه
يصبأ⁽¹⁾ ويترك دين آباءه وأجداده ؟

ها هو ذا (الحكم بن أبى العاص) يوثق ابن أخيه
(عثمان ابن عفان) بالسلاسل ويصرخ فى وجهه ..
- أترغب عن ملة آباءك إلى دين محدث ؟ والله لا أحل
وثاقك أبداً حتى تدعَ ما أنت عليه من هذا الدين .
فيجيبه (عثمان) وقد منحه إيمانه قوةً تفوق أى قوةً يهدده
بها عمُّه :

- والله لا أدعُ دين الله أبداً .. ولا أفارقه .

(1) صبأ : أى ترك عبادة الأصنام واعتنق ديناً آخر .

ويحاصره الناسُ ويقاطعون تجارتَه آمِلين أن يردّه هذا عن
الدين الذي آمن به .. لكن هيهات .. فقد كان تمسكه بدينه
يفوق حرصَه على حياته .

تبارى كفارُ قريشٍ في تعذيبِ المسلمين الأوائل .. فرأى
رسول الله أن يهاجر بعضُ هؤلاءٍ إلى الحبشة فراراً بدينهم ..
وكان (عثمان بن عفان) وزوجته السيدة (رقية) ابنة النبی
محمد من بين من هاجروا في هذه الهجرة الأولى .

لم يكن سهلاً على نفسِ رسولِ الله أن يفارقه أحبّاهُ من
المسلمين الأوائل الذين أيدوه وآزروه منذ اللحظة الأولى .
فوقف يودع ابنته (رقية) وزوجّها (عثمان) وهو يقول :
"إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد نبي الله لوط" ..

ولما استقرت الأحوالُ في مكة .. عاد إليها (عثمان)
وزوجتُه وباقي المسلمين ثم هاجروا بعد ذلك إلى (يثرب) .
ها هي ذی حياة المسلمين قد استقرت في المدينة المنورة ..
وها هو ذا النبی يضع لهذا المجتمع أسساً وقواعدَ تضمن له

أمنه واستقراره فيؤاخي بين المهجرين والأنصار .. لكن
كان لابد من وجود مصدرٍ دائم وآمن من المياه العذبة ..

وكان سكان (يثر) يشربون من بئر تسمى (بئر رومة)
يملكها رجل يهودي .. ويبيع ماءها للناس .

وتمنى النبي لو اشتراها أحد الأثرياء ووهبها
للمسلمين ..

ويبادر (عثمان بن عفان) ويساوم اليهودي الذي لم يوافق
إلا على بيع نصفها بثمن باهظ ..

ويهب (ابن عفان) ماء البئر للناس دون مقابل في الأيام
التي اتفق عليها مع اليهودي .. فكان المسلمون يشربون
ويحتفظون بما يحتاجون إليه في اليوم التالي .. فجاء اليهودي
إلى (عثمان) وقد رأى أنه لا يبيع ماء في الأيام المخصصة
له .. وقال لعثمان :

- أفسدت على البئر .. اشترِ النصف الآخر ..

ويشترى (عثمان) باقى البئر ويتركها سبيلا للمسلمين ..
كان من الضروري أن يبنى المسلمون لهم مسجداً بعد أن

استقر بهم المقام فى (المدينة) .. ويتعاون الصحابةُ ومعهم
النبيُّ الكريمُ وبينون مسجداً كان يكفيهم وقتها .. ويدخل
الناسُ فى دين الله أفواجا .. ويضيق بهم المسجدُ .. ويتمنى
رسولُ الله أن يضم أرضاً مجاورة فيضيفها إلى مساحةِ
المسجدِ ..

ويسارع (عثمان بن عفان) فيدفع ثمنَ الأرض ويهبها
للمسجدِ .

فتح الله (مكةَ) أمام المسلمين - فتحا مينا - وتوالى إسلام
القبائل فى شبه الجزيرة العربية ، ودانت كلها للدين
الجديد ، وآمنت بمحمد نبيا حتى وصل نفوذ الإسلام إلى
حدود دولة الروم فى الشام .

وتصل الأنباء يوما إلى مدينة رسول الله أن جيوش الروم
تحتشد لغزو حدود العرب الشمالية ..

كان هذا فى صيف العام التاسع الهجرى ..

وكان عاما جافا جدبا .. لم تجد فيه السماء بمطرٍ أو
غيثٍ ..

وكان السفر إلى بلاد الشام طويلاً ويحتاج إلى مؤن
وعتاد .. وهبَّ المسلمون يتبرعون .. كل بما يملك .. المرأة
بجليها والرجل بدابته وسلاحه .. وذوو المال بمالهم .
لكن .. هل يكفي هذا لإعداد جيشٍ يقابل جحافل
الروم؟؟

لقد خرج فقراء المسلمين يريدون القتال .. إما النصر
وإما الشهادة . لكن كيف ؟

وأطلق النبي عليه السلامُ صيحته :

— "من يجهز هؤلاء ويغفرُ الله له ؟ " ..

ويسارع (عثمان بن عفان) ويلبى نداء الرسول ويجهز
الجيش كله .. (تسعمائة وأربعين بعيراً ، وستين فرساً أتم
بها الألف) .

ثم جاء عثمان إلى النبي بعشرة آلاف دينار يجعل
الرسول ﷺ يقلبها بيده ويقول :

— "غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما

هو كائن إلى يوم القيامة" .

كانت خلافة (أبى بكر الصديق) .

وأصاب المدينة قحطٌ وجفافٌ ..

وها هى ذى قافلة (عثمان بن عفان) قد عادت من الشام

تحمل القمحَ والحبوبَ والزيتَ والثيابَ .

ويهرعُ التجارُ إلى (عثمان) يساومونه على شراءِ قافلته .

سأل عثمان : كم تربحوننى ؟

قالوا : الدرهم درهمين .

قال : أعطيت زيادة .

قالوا : أربعة دراهم .

قال : أعطيت أكثر .

قالوا : نربحك خمسة .

قال : أعطيت أكثر .

وتعجب التجارُ .. فليس فى المدينة غيرهم .. فمن ذا

الذى أعطاك أكثر؟

قال (عثمان بن عفان) :

"إن الله أعطاني بكل درهم عشرة .. فهل تزيدون؟"

وأعلن على مسمع ومرأى من الناس :

- إنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله
على المساكين وفقراء المسلمين ..

هذا هو (عثمان بن عفان) رجل الجود والعطاء غير
المحدود وفوق هذا الجود والسخاء كان (عثمان) مثالا
للحياء ..

وكثيرا ما أشاد النبي عليه السلام بحياء (عثمان) وعنه
عليه السلام أنه قال :

"أرحم أمى أبو بكر ... وأشدها فى دين الله عمر ...
وأشدها حياء عثمان" ..

يُروى عن (عائشة) أم المؤمنين أنها قالت :

استأذن (أبو بكر) يوما فى الدخول على النبى وكان

مضطجعا فأذن له وتحدث مع النبي ثم انصرف .
ثم استأذن (عمر) .. ومكث وقتا مع النبي ثم مضى .
ثم استأذن (عثمان) .. فتهيا الرسول لمقدمه بعد أن كان
مضطجعا وأسبل جلبابه فوق ساقيه قبل أن يدخل عليه
(عثمان) .

ولما سأله السيلة (عائشة) : يا رسول الله .. لم أرك تهيأت
(لأبي بكر) أو (لعمر) كما تهيأت (لعثمان) ؟!
فأجابها الرسول :

"إن عثمان رجل حيي ، ولو أذنت له وأنا مضطجع
لاستحيا أن يدخل ولرجع دون أن أقضى له الحاجة التي جاء
من أجلها .

يا عائشة .. ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟"
بعد دخول (عثمان) بن عفان في دين الإسلام زوجته
النبي عليه السلام ابنته (رقية) .. فلما توفاه الله زوجه من
ابنته الثانية (أم كلثوم) ... وماتت أم كلثوم .. وتجاوز النبي

أحزانه بعد فقد ابنتيه وتوجه إلى (عثمان) بالقول ..

"لو أن لنا ثلاثة لزوجناك إياها" ..

لهذا سُمي (عثمان بن عفان) (بذي النورين) حيث

اقترن باثنتين من بنات النبي عليه السلام .

مات أمير المؤمنين (عمرُ بن الخطاب) متأثراً بجراحه بعد

أن تلقى الطعنات الغادرة من المجوسى (أبو لؤلؤة) ..

واجتمع مجلس الشورى المكون من الصحابة الستة الذين

مات النبي عليه السلام وهو راض عنهم ليختاروا من

بينهم خليفة للمسلمين .

ويقع الاختيار على ذى النورين (عثمان بن عفان)

ليتحمل مسؤولية الخلافة وقد ناهز عمره سبعين عاما .

فكيف استقبلها شيخُ الجود والحياء ؟ .

قال فى خطبة البيعة :

"إن الدنيا طويت على الغرور

فلا تغرنكم الحياة الدنيا .. ولا يغرنكم بالله الغرور"

فهل يخشى الغرورَ رجلٌ فى مثل أخلاقِ (عثمان) ؟
وتتحرك الفتنُ فى طول البلاد وعرضها .. فقد ظن
المتربصون أن وفاة (عمر بن الخطاب) تعنى ضعف الدولة
وتفكك أوصالها كما رأوا فى الخليفة الجديد (عثمان بن
عفان) رجلاً جاوز السبعين معروفاً عنه الحياءُ ورقة
الخصالِ ، فازدادت أطماعهم .

لكن (ابن عفان) أثبت لهؤلاء أن دولة الإسلام مازالت
على عهدِها من القوة والفتوة .. فأرسل حملاته إلى
أذربيجان وأرمينية والإسكندرية وفلسطين وغيرها ، ولم
تقتصر مهمة هذه الحملات على إطفاء نار الفتنة والقضاء
على الحركات الانفصالية فقط .. بل مضت أغلبها تؤمّن
حدود الدولة - بل الإمبراطورية الإسلامية - وتوغل فى
توسعاتها لتمنع تكرار مثل هذه المناوشات فى المستقبل .

ولجابهة الأسطول البحرى للرومان .. أمر الخليفة (عثمان
بن عفان) بإعداد أسطول بحرى لأول مرة .. استطاع أن
يحقق انتصاراً باهراً فى موقعة (ذات الصواري) ..

وهكذا شهد عصرُ (عثمان) مولدَ البحريّةِ الإسلاميّةِ ..
هل نذكر اليومَ صاحبَ الفضلِ في هذه الوحدةِ التي لا
تشوبها شائبةٌ في النصِّ القرآني على امتداد العالم
الإسلامي..

هل يذكر أحد من الذي جمع نُسخَ المصحف الشريف
المختلفةً ثم أمر بكتابة مصحفٍ واحدٍ صحيح يقوم
بمراجعته وتحقيقه مجموعة من الصحابة حفظه كتاب الله ؟ ..
وهل نذكر صاحب الأمر بكتابة نسخ متعددة تطابق هذه
النسخة الموثقة لتوزيعها على كل أجزاء الدولة الإسلامية
فيتوحد فيما بينها النص القرآني كتابةً ونطقاً ؟

إنه أميرُ المؤمنين (عثمان بن عفان) الذي أقلقته ما علم
من اختلاف بين الشعوب الإسلامية في قراءتها للقرآن
الكريم .

وكان هذا الإنجازُ الخالدُ الذي تنطق به كل نسخةٍ نقرأ
فيها اليومَ من المصحف الشريف والذي عرف (بمصحف
عثمان) .

وتمضي سنوات حكم (ذي النورين) .. هذا الصحابي

الجليل والخليفة العظيم لتزيد على عشر سنوات تسجل له
إنجازا بعد آخر وانتصارا تلو آخر ..

إلا أن الفتن والدسائس كانت قد أخذت مكانها في هذه
الدولة الواسعة .. وطرحت على ساحة الحكم مجموعة من
الخلافات التي انتهت بأن حاصر بعض الغوغاء بيت
(عثمان) لعدة أيام .. إلى أن قتلوه ..

وصعدت روح الصحابي الجليل .. رمز الجود والعطاء
والبنل والحياء .. صعدت روحه إلى بارئها .. ليسكن
(عثمان ابن عفان) جنة الخلد مع الصديقين والشهداء فقد
كان رضى الله عنه من {وَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأْمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا} [المائدة : 93] صدق الله العظيم .